مما عثرنا عليه فى أضابيم (الرسالة) :

المَلَكُ الثـــائر ... !

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقدمة :

[هذه الأقصوصة تحتوى نزعتين : النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها ، والنزعة الثانية تهوين أمرها على النفس، لأن رفض الألم رفض للسعادة ؛ إذ الاحساس الذى يحس السعادة لابد أن يحس الألم . ورفض الشر فى الحياة رفض للخير ، إذ الخير فى محاربة الشر، ولأن الرحمة نفسها التى تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر . والقصة هى قصة ملك عصى ربه وهبط إلى الأرض كى يدعو الناس إلى عبر الشر فآذوه وأخفوا به كل شر؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعطفهم ومحبتهم . وأراد المعطة وتحبيب الحياة والثقة بالله] .

نُبِّئْتُ أن ملاكا ثار من حزَنٍ ... يسائل الله فى خلق الرزيئات

(قول الملك الثائر يناجى الله) :

تكلمَ الشر فابعث منك هاتفة ... من الجوامع ترضى فى المناجاة(١)

الأرض منجـــرد وهو الخطيب بها ... يدعو النفوس إلى هُوجِ المطيّات(٢)

فارحم مسامع لم تسمع نجيُّاكَ أو ... نفساً لصوتك ترنو فى الخصاصات(٣)

وارحم عيونا إلى مرآك ظامئـــة ... آبت من النحس فى شاك كليلات(٤)

إذن أعرْها لحاظاً منـــك صادقة ... تمحو لها العين محمود الصحيفات

وابعث لنا حكمة مما خصصْتَ به ... محكمة لك تُطفى حمر غُلاّت

ندرى الوجودَ كما تدرى الوجود بها ... وترتضيه بأرواح أبيّـــات

(١) تكلم الشر أى أنه أمرى الناس بمغرياته وجوامع الكلم التى تجمع الحكمة الماحلة المقنعة .

(٢) منبره أي منبر الشر فيرجو الملك من الله أن يبطل حجة الشر الخطيب بكلمة منه تجمع الحكمة. الهوج جمع، أى أن الشر يحمل النفس على الحمق والجنون .

(٣) نجيك أى نجواك والخطاب لله عز وجل، والخصاصات الثقوب، أى أن النفس تتطلع إلى ضوء الله من ثقوب باطل الدنيا الذى يحجب ضوءه

(٤) آبت أى عادت ورجعت وكليلات أى متعبة .

ما الخلود ولا الفردوس من أربى ... ولا كمالٌ لمعصـــوم السجيات(١)

حتى أرى الناس لا دمع ولا حزَنٌ ... ولا شقاء بإجرام وغمّات

سأبلغ الأرض آسَى مثلما حزنوا ... وأبرئ الناس من جرح البليات(٢)

إن الجهاد على النقص الذى طبعوا ... عليه أفضل من عصم السجيات

فالسيف أفضل مشهوراً وإن صدئت ... بالصون ما درئت منه بإصْلات(٣)

(صوت من السماء) :

اهبط إلى الناس وانذبهم إلى خلق ... كما تشاء على تقوى وإخبات(٤)

وارغب بهم عن شرور أنت ناقمها ... وداوِ ما استطعت كلْمَ المصمئلات(٥)

أوردهُمُ الخُلُقَ الأعلى لعـل لهم ... إلى الدنيات طبعاً غير منقسات(٦)

فان فشلت فلا غَرْوٌ فان لنا ... فى الخلق حكمة مخبوء العلامات

(مسعى الملك الثائر واضطهاد الناس إياه وفشله) :

سعى إلى الناس ساع نحو خيرهمُ ... يدرُّ للخير أرواحاً بكيّات(٧)

فيالسعدهم لو أنهـــم جَنَبوا ... ما يجنب السعدَ من حرص المباراة(٨)

عزز عاداتهـــم للشر رائدهم ... كم قدسوا العادَ تقديس الديانات(٩)

(١) أى أن الثائر يأبى كل هذا الخير ، والنعيم ما دام الشر والشقاء فى الحياة .

(٢) آسى أى أحزن من الأسى

(٣) أصلت السيف جرده من غمده وصدئ الحديد علاه الوسخ والصدأ ، ودرن أصابه الدرن أو الوسخ والتاء فى صدئت إشارة إلى صفحة السيف . والمعنى هو أن محاربة النفس للشر مع ما طبعت عليه من النقص أفضل كما أن السيف المستعمل أفضل من السيف الذى لا فضل فيه وإن أصابه الدرن من الاستعمال .

(٤) أخبت إلى الله خشع له .

(٥) الكلم الجرح والمصئلات المصائب والكوارث واسطعت أى استطعت .

(٦) أوردهم أى اجعله موردا لهم ومنصات إلى الشىء أى منقاد إليه

(٧) الثاثة البكى القليلة اللبن ، ويدر يستدر الدر أى اللبن والمراد خير النفس .

(٨) أى إن جشع التنافس فى الدنيا مما تطلب به السعادة ولكنه كثيرا ما يؤدى إلى ضياعها

(٩) تقديس العادات ليس مقصوراً على العادات الفاضلة والعاد العادات

تبغى المحالَ فتبغى الخير أجمعه هيهات لو عزّيت نفس بهيهات
كشّفتَ عيب نفوس أنت ناصحها فاحل عن الخلق آلام الشقاوات(١)
ثارت به الناس كالأغوال يقدمهم إليه كل عريق فى الجهالات
وحمّلوا خُلقَه من سوء خلقهم وكم رموه بأدناس الرمايات
ومزّقوه بأظفـــار كما خضبتْ فوائك الوحش من دامى الفريسات
وعلّقوهُ على جزْعٍ وقيـــلَ له اصعد كما رمت فى مرقى السجيات(٢)
ماراعه أن رأى الأشرار ترجمه وإن توجّع من وقع النكايات
حتى إذا ما رأى الأبرار تظلمه غرارةً وانصياعاً للسّعايات
بكى لبغض ذوى خير ومامنيت نفس بأوجع منه فى العداوات
من كل لحظ بضوء الخير مُنبعثٍ يدجو عليه بتقطيب السخيمات(٣)
تلك النفوس التى عاف السماء لها وثار يُغضب جبار السماوات(٤)
يُكفّرُ الناس بالآلام قاطبة عن الخطايا وعن شر الدّنيّات
وعن رضاء بعيش جلّهُ نقمٌ وعن ولوع بنعماء ولذات(٥)
هم يعذرون يمدح الخير شرّهمُ تكفير من لم يُطق هجر الخطيئات(٦)
لسان بَرٍّ بثلب الشر منطلق مثل الأفاعى وماقلب بعزّهاة(٧)
ماأنكر الناس شراً غير ضائرهم أينكرون شهيات الغريزات

(صوت من الجحيم : إبليس يتكلم) :

ناداه فى النار إبليس فقال له : هوّن عليك ولا تولَع بإعنات
قد شاء ربك إن الشر عدته فى صيغة الخير فى قَدْرٍ وميقات
أنا الشقىُّ بما لم أجنه أبداً من خلق نفسى ومن آثام زلاتى

(قول الثائر الساخط) :

فقال ذو شقوة بالجزع منتصب يكلمُ الله فى نجوى السريرات
أنزلْ علىَّ شقاء الخلق قاطبة وطهر الناس من ضَيْر الجريرات
إن يظلمونى فمن بالشر يجبلهم أو يصلبونى فمن بارى الجنايات
هل يعذرُ الشر أن الخير غايته أم هل تهوّن آثامٌ بغايات

(مصير الثائر) :

خُلّفتْ روحه كالطير سابحة فى الجو تنشد مخضرّ النباتات
طارت إلى الملأ الأعلى فما اقيت لها قراراً ولم تظفر بمهْوَاةِ
لا فى الجحيم ولا الفردوس مسكنها حيرى المسالك من فقد القرارات
ترى الملائك حول العرش آسية تأسى الملائك من إثم وزلات

(صوت من السماء :

يا ناقم الشر هلا كنت مُضْطلعاً بالجزع والصاب قبل الكارث الآتى
عصيت ربك فى كبر وفى جهَل - لما بَرِمْتَ بأيلام اللمات(١)
الخَلْقُ للخلق ربح لو فطنت له كتغنم الحى من أسلاب أموات
والشر والخير لا يُرجى افتراقهما فارفض إذا اسطعت نهاى ولذاتى
حتى العقول وحتى الفضل أجمعه ولذة النفس فى بذل المروءات(٢)
ومرتضى الخير لو يسعى إلى دنس لباء منه باخلاف العلالات
ومرتضى الزهد مسعود بعفته ولذة المنع إنماء الخيالات
برحمة قد نماها الشر تنقمه ورحمة المرء من وخز المصيبات(٣)
إن كان سخطك خيراً فى مراجعه أجزت خلْقى بأرواح رحيمات
فالشر للخير مردود وإن أسيت منه النفوس بأنّاتٍ وآهات
وباحث سرّ عيش غير مُدركه كالطفل ينشد أفلاك السماوات

عبد الرحمن شكرى

---

(١) هذا البيت تفسير لسخط الناس على ناصحهم وطالب الخير والسعادة لهم لأنه بنصحه يظهر عيوب نفوسهم وأحل منهم أى بدلا منهم .

(٢) صلبوه ، وقولهم اصعد كما رمت من قبيل السخر .

(٣) السخائم والسخيمات الأحقاد .

(٤) عاف السماء لها أى من أجلها ومن أجل تعاستها .

(٥) جله أكثره .

(٦) من أسباب شدة ولوع الناس بمدح الخير ميلهم إلى التكفير بمدح الخير عن شر أعمالهم وهذا لا ينفى أن تكون هناك أسباب فاضلة لمدحهم الخير .

(٧) عزهاة أى زاهد ولها معان أخرى والثلب الذم والانتقاص .

(١) برم بالشيء ضجر وسئم .

(٢) ذلك لأن نمو العقل البشرى كان بسبب مكافحته للمصائب والآلام والشرور؛ فالذى يريد حياة لاشر فيها يريد إنسانا لاعقل له وكذلك الفضائل إنما نمت لأنها هى محاربة الشرور .

(٣) الرحمة تنتمى إلى الشر أى لو كانت الحياة لاشر فيها لما عرفت النفس الانسانية الرحمة